رمضانيات من قلب التغيير
المدن اليمنية تنهض من تحت الركام
الثلاثاء ٧ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٢١ سبتمبر ٢٠٠٤م العدد (١٤٥٥٩)
Tue .21 Sep 2004 .. 7 /8/1425 - No (14559)

الحديدة.. بداية النهاية

مخطط «إبليس» ومحاولات

للطلقة الأولى دوي أزلي يصم آذان الطغاة ويقعدهم منبوذين في هوامش التاريخ ، ويشعل قلوب الطامحين إلى غد الثورة حبا وحماسا . وفي مدينة الحديدة كانت آخر الطلقات الأوَلّ المترجمة لآهات الملايين من المظلومين والمحرومين .. تؤذن .. «حي على الثورة» . المدينة ذاتها كانت الرصيف الذي استقبل مئات السفن المحملة بالسلاح والتموين العسكري وغير العسكري لدعم الثورة الفتية ، والمحملة بالمستقبل وما سكن الأفئدة من أحلام ثورية .. ومن المدينة حتى العاصمة صنعاء امتد أول خيط خضاب على الجسد اليمني تتسابق فوقه السيارات حاملة المدد للثورة المشتعلة بلا هوادة .

تحقيق/عبدالوهاب مزارعة

● لمحافظة الحديدة دور نضالي كبير في إشعال ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة وامدادها بالمتطلبات من العتاد والعدة .. وفي المحافظة وكما في سائر المحافظات اليمنية- آنذاك - تحول الأنين الذي كان يردده الشعب طيلة عقود مريرة من العذاب والظلم وسَطوة الثالوث «الجهل والفقر والمرض» إلى مشاعل زنرت الوطن بالثورة واعلنت ميلاد اليمن الجديد.

نتتبع ما رصد عن دور مدينة الحديدة في الثورة الأم ٢٦ سبتمبر من خلال الامكنة التي دارت فيها الاحداث ، وننقل الحالة التي كانت عليها المدينة قبل وأثناء وبعد الثورة ، والكيفية التي ترجم بها الناس فرحتهم بالثورة آنذاك وانخرطوا في صفوف النضال لدعمها وتجسيدها واقعاً ملموسا يحيا حتى اليوم في صيرورة دائمة تبني اليمن الحديث والتجدد بسواعد وعقول الشرفاء الاحرار .

من تاريخ الحديدة

«١٣٩٥م» .. في هذا العام ذكر اسم الحديدة لأول مرة في التاريخ ليدل على جزء من الساحل الغربي للبحر الاحمر وليس على السكان .. بيد أن هذا الجزء كبر وصار للاهالي من صيادي الاسماك والحرفيين عام «١٤٥٤م» كيانا لمدينة صغيرة واتفقوا على ارسال وفد إلى سلطنة بني طاهر في عدن للاعتراف بهم .. وهذا ما أورده «جون بولدري» وهو انجليزي عاش في اليمن خلال عقد السبعينات وانس مع آخرين قسم اللغة الانجليزية بجامعة صنعاء ورأس قسم اللغة الانجليزية بالمعهد القومي «المعهد الوطني - حاليا» بالحديدة في كتابه «اهم الاحداث في تاريخ الحديدة» الذي قام بترجمته القبطان البحري محمد عزي صالح.

عاشت المدينة احداثا كثيرة منذ ذلك التاريخ خصوصا ان الحقبة كانت حقبة امتداد استعماري ، لكن احدا من المستعمرين لم يستقر في المدينة باستثناء الاتراك العثمانيين بين عامي ١٩٠٢م - ١٩٠٨م بنى الاتراك رصيفا من الحجر الاسود أمام المباني الحجرية القديمة في الحديدة لكنه لم يكن صالحا لاستقبال السفن لضحالة المياه هناك .

بعد الحرب العالمية الأولى وفي عام ١٩٢٥م تحديداً تقدم الإمام يحيى حميد الدين واستولى على الحديدة واسرع في بسط نفوذه حتى «السامطة» بالمملكة العربية السعودية .. وكان ذلك بعد أن كانت المدينة تحكم من قبل الادارسة الذين لم يجدوا أي تأييد من قبل المواطنين وكان سكان المدينة عام ١٩٢٧م حوالي ثمانية آلاف نسمة .

تتابعت الاحداث وكانت الحديدة ضمن مناطق الحرب بين اليمن والسعودية عام ١٩٣٤م التي انتهت باتفاقية الطائف .

وفي عام ١٩٤٢م بدئ في تأسيس مستشفى على مسافة نصف ميل شمال شرقي الحديدة وهو ماعرف بعد ذلك بمستشفى الشهيد العلفي .

بعد العام ١٩٤٨م وما شهده من احداث تاريخية وتولي الإمام احمد عاشت المدينة وكل اليمن حالة مزرية من الظلم والاستعباد .. وكانت تهامة المعروفة بأرضها الزراعية الخصبة يكدح فيها أبناؤها بلا عائد لهم نتيجة نظام «القنانة» او ما عرف بالسخرة وهو العمل في الارض دون مقابل .

كما شهدت البلاد مجاعات وأمراضا وكان السكان لايلقون قطرة الماء .. كما يذكر سعيد الجناحي في كتابه «الحركة الوطنية اليمنية»..

و«تعرضت الحديدة إلى حصد كامل حين تمردت قبيلة الزرانيق على الإمام واعتقل المئات منهم وسجنوا في حجة حتى لقوا حتفهم عن بكرة أبيهم عدا اربعة او خمسة نجوا بأعجوبة» .

عملية إبليس

السخنة ، المستشفى ... مكانان في محافظة الحديدة كانا مسرحا لمحاولتي الاغتيال الثانية والثالثة للامام احمد منذ توليه حكم اليمن بعد ثورة ١٩٤٨م وماشهدته من أحداث جسام ، المحاولة الأولى كانت في تعز عام ١٩٥٥م وهاهي واقعة المحاولة الثانية .

لم يكن قاسم سعيد حسن الذبحاني الملقب بـ «ابليس» إلا واحدا من الغيورين على الوطن والامة يلمس في كل لحظة ما يعانيه الشعب من ظلم واستعباد على يد حكم الائمة ويطمح في غد مشرق لكل اليمن .

لذلك اعد العدة في ديسمبر ١٩٥٩م لنسف قصر الإمام في السخنة بالمتفجرات عن بكرة أبيه .. غير أن أمره انكشف وألقي القبض عليه وأودع سجن حجة .

تمكن من الفرار بعد فترة إلا أن الحراس اكتشفوا أمره ولاحقوه وتبادلوا اطلاق النار معه حتى سقط شهيدا .

رغم فشل تلك المحاولة الفردية من قاسم الذبحاني إلا أن العمل لانطلاق الثورة كان جاريا وكان لابد من تهيئة الظروف لإشعال الثورة، فالبنية التحتية للبلاد بعمومها كانت سيئة .. بيد ان الاجواء المحيطة كلها تنذر بالثورة، ففي مصر والعراق وسوريا والجزائر ودول اخرى كان المد والقومي في أوجه والثورات براكين تشتعل في كل قطر عربي ضد الاستعمار وأعوانه وكل حكم طاغ . في هذه الاجواء استشعر المحيطون بالإمام خطر الانغلاق والظلم والجهل وبدأوا بعد نصح ممن حولهم وممن كان لهم دور بعد ذلك في إشعال الثورة العمل لتحسين بعض الجوانب المهمة، فكان ميناء الحديدة وأجزاء من طريق الحديدة- صنعاء والمدرسة السيفية بالحديدة

العميد/سليمان محمد علي الهادي

العقيد/محمد عزي صالح

العامل عايش حسن

«الوعي ثم خولة لاحقا» .

الميناء

خلال الفترة «١٩٥٨م - ١٩٦١م» بنى الاتحاد السوفتي السابق ميناء الحديدة الذي كان يتكون حينها من ثلاثة ارصفة بطول ٤١٠ مترات ولايتسع الا لسفينتين صغيرتين وواحدة كبيرة كما اوضح لنا العقيد محمد عزي صالح الذي عاد بداية العام ١٩٦١م من روسيا بعد أن درس الارشاد البحري في منحة لمدة عام لم يكتمل وعمل حينها مساعد كابتن في اللنشات التابعة للسفن «عمران» .

الميناء كان محطة يلتقي فيها العاملون ممن تعلموا خارج البلاد وشاهدوا ما هي عليه تلك البلدان وما هي عليه بلادهم، فكانت تصل الصحف العربية وتوزع المنشورات الرافضة لحكم الطغاة .

يتذكر العقيد محمد عزي صالح ما كان يفعله الطيار علي الكستبان، درس الكستبان الطيران في امريكا وكان يتسم بجرأة غير عادية فحين يصل إلى الميناء تكون حقائبه ملأى بالمنشورات المحرضة ضد حكم الإمام ونظام الإمامة يوزعها في الميناء ويوزع بعضها داخل المدينة ويركب سيارة نائب الإمام يحيى عبدالقادر دون خوف من ان يكشف أمره .

في الميناء ايضا كان المهندس اللاسلكي محمد محسن الحيدري الذي تخرج من الاتحاد السوفيتي ضابطا بحريا وعمل مديرا فنيا للمحطة اللاسلكية البحرية بميناء الحديدة مع محمد احمد الحيمي الذي كان مديرا للورشات والمعامل والشؤون الفنية في إدارة الميناء ومن ضمنها المحطة اللاسلكية تحت ادارة مدير عام الميناء آنذاك عبدالله السلال ، يومها تجرأ الضابط المهندس محمد الحيدري وقام بتركيب المحطة دون إذن الإمام او نائبه فتعرض للتحقيق - كما يذكر في مذكراته - ولولا سمعة أبيه وحضور المهندس الروسي المختص وفحص تركيب المحطة والشهادة له بصحة العمل لوقع ما لايحمد عقباه .

كان محمد محسن الحيدري في إحدى الخلايا السرية التي يرأسها محمد الرعيني وكان دوره الاتصال بالمثقفين وأصحاب المكتبات والتجار الذين يسافرون إلى الخارج ويعودون ، وربط علاقة سرية بأقل عدد للاعتماد عليهم بتزويد الخلايا بالكتب والصحف الممنوع دخولها البلاد للاطلاع والاستفادة، مثل مؤلفات الزبيري والصحف والمجلات المصرية .

ويورد الحيدري في مذكراته انه ربط علاقة بالكابتن طيار عبدالرحمن باصيد وكان يعمل يومها ضابطا لاسلكيا في الباخرة -ماربا- اذ كان عمل الحيدري كمدير فني يسهل طلوعه إلى الباخرة للكشف على المحطة اللاسلكية ويستلم من باصيد الكتب والمجلات ويدسها تحت الملابس او الحزام ويخرج بها ليسلمها للرعيني ليقوم بعملية التوزيع بنظره بين من يذكرهم الحيدري صاحب مكتبة لايذكر اسمه لكنه يذكر لقبه انه (ابليس) وهو نفسه قاسم سعيد حسن الذبحاني صاحب عملية السخنة التي لم تتم .

محطة اللاسلكي

محطة اللاسلكي الخاصة بالإمام في دار البوني كانت هي ايضا مسرحا للثورة القادمة عبر الرجال الابطال .

ذات يوم زار المحطة اللاسلكية عبدالله اللقية ومحمد عبدالله العلفي وسأل اللقية الحيدري عن قوة المحطة ومداها وهل يمكن تحويلها إلى محطة إرسال اذاعية ؟

سكت الحيدري ولم يجب عن السؤال الذي طرح أمام محمد أحمد الحيمي مدير الشؤون الفنية، فقال الحيمي للحيدري رد عليه بصفتك مهندسا لاسلكيا ومسؤولا فنيا على المحطة للعلم فقط فلا تخف .

فاجاب الحيدري الذي لايعلم بأن مديره الحيمي عضو في الخلايا السرية على السؤال بالإيجاب لولا ان المحطة ينقصها غرفة تبعد عنها قليلا لتصبح استديو او غرفة للمذيع بعيدا عن التشويش وان العملية في غاية البساطة ؟

يقول الحيدري : فخرج وهو غير مقتنع بردي رغم الثقة المتبادلة واتصل بالشهيد الرعيني الذي طلب مني ان احاول بطريقة سرية تحويل المحطة إلى إذاعة وان استعد لساعة الصفر .

كان الحيدري يذهب صباحا إلى الميناء للتواجد في المحطة اللاسلكية البحرية ويقوم بتدريب طلبته في اللاسلكي بعد الظهر في محطة اللاسلكي بدار البوني .. وبينما هو مع طلابه ينتحل عذرا لدخول الورشة للعمل ومنها يخرج إلى خلف المحطة حيث كان يوجد مستودع عامر بقطع الغيار التابعة للمحطة وهناك بدأ العمل على تمديد الاسلاك وتجهيز الميكرفون الاذاعي ويخفيه خلف الكراتين والرفوف .

كان يلتقي الحيمي والحيدري في المحطة ويتصلون بمحطات أخرى للتسلية في انتظار ساعة الصفر .. وبدأ الحيدري يجرب المحطة ويسمعه الرعيني على شفرة سرية كتجربة من محطة البحر الأحمر لإرشاد السفن عن الأجواء والارصاد وبعض النشرات الضرورية .

الصفقة الأولى

ليس ميناء الحديدة وحده الذي شهد احداثا متعلقة بالثورة، اذ ارتبط ميناء الصليف بمحافظة الحديدة بوصول أول صفقة اسلحة عام ١٩٥٦م، وإلى هذا العام وهذا الحدث يرجع بدء تشكيل الخلايا السرية في اوساط الضباط، وقتها نزل مجموعة من الضباط من صنعاء لاستلام الاسلحة وترحيلها وتخزينها، وعلى رأسهم عبدالله السلال و١٧ ضابطا آخرين ، وبعد الانتهاء من استلام الصفقة أمر الإمام بتخزين المدافع في باجل بمحافظة الحديدة وذخائرها في قصر السلاح بصنعاء والترابيس واجهزة الضرب والكابات في قصره بتعز، مما أثار سخط الجميع، وشعر الضباط بخيبة أمل . لكن المقربين من البدر استطاعوا التأثير عليه واقناعه بضرورة تدريب الضباط على الاسلحة، وتم انشاء المدارس العسكرية وانخراط ضباط القوات المسلحة والامن في مدارس الاسلحة مثل المدرعات والمدفعية والاشارة والمهندسين والمشاة إلى جانب الكلية الحربية ومدرسة الطيران والمظلات وغيرها .

كان مجموعة من الضباط على اتصال بمحمد الرعيني واحمد الرحومي وصالح الأشول وصالح الظفيري

◁ **الميناء «طريق الحديدة - صنعاء».. تحديث محطة اللاسلكي.. البنية التحتية لإشعال الثورة**

■ الميناء القديم

■ الوراد..

لنبنِ وطناً مزدهراً تسوده المحبة والإخاء والتسامح وترفرف فوق ربوعه رايات الحرية والديمقراطية والسلام والوئام

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية